الجوهر المكنون
في بيان أهمية حفظ المتون

جمع وترتيب

د. إسماعيل عبد عباس الجميلي

تدريسي في كلية الامام الاعظم رحمه الله الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الجوهر المكنون في بيان أهمية حفظ المتون

أ.م.د. إسماعيل عبد عباس، مكتب شمس الأندلس للطباعة الرقمية والتصميم والنشر

الإعداد الإلكتروني وتصميم الغلاف والطباعة

في مكتب شمس الأندلس

للطباعة الرقمية والتصميم والنشر

بغداد/الأعظمية

هـ: ٠٧٧٠٤٥٧٧٠٧١

الطبعة الأولى ٢٠١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله ﷺ:

﴿إِنَّ مَثَل مَا بعَثني اللَّه بِهِ منَ الْهُدَى والْعلْمِ كَمَثَلَ غَيْثٍ أَصَاب أَرْضاً فكَانَتْ طَائِفَةٌ طَيبَةٌ، قبِلَتِ الْماءَ فأَنْبَتتِ الْكلأَ والْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمسكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللَّه بِهَا النَّاس فَشَربُوا مِنْهَا وسَقَوْا وَزَرَعَوا. وأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينَ اللَّه، وَنَفَعَه بمَا بعَثَنِي اللَّه بِهِ، فَعَلِمَ وعَلَّمَ، وَمثلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذلِكَ رَأْساً وِلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ متفقٌ عَلَيهِ.

إهداء

إلى السابقين واللاحقين من طلبة العلم والعلماء.

أهدي ثمرة هذا الجهد راجياً من الله عزَّ وجل القبول ومن القارئ الدعاء.

المقـــدمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فقد تكلمت في مقال سبق نشره عن أزمة المنهج وبينت ضرورة معرفة الاولى والأفضل بل والأهم في طلب العلم وتحصيله والعمل بمنهج سلف الامة من العلماء المؤصِّلين، وذكرت أن هذه الصناعة –عالم مؤصِّل- تحتاج الى منهج علمي مؤصل رصين؛ لأن مناهج صناعة العلماء والمربين وخاصة في العراق تعيش اليوم أزمة، وإن المستقرأ والمتابع لحال طلبة العلم يجدهم أصناف بين متقن وحافظ ومتناسٍ:

- فبعضهم قد قضى في طلب العلم شطراً من عمره واذا سُئل عن أيسر المسائل وأكثرها تداولاً تجده يتعثر ويتلعثم؛ لأنه لم يستحضر شيئاً عن هذه المسألة التي سئل عنها فلم يحفظ متناً وانما حفظ مسائل الفن الذي درسه فإذا تناسى المسائل

تدريجياً لم يشعر بها فقده؛ لأنها غير منحصرة في قاعدة او متن، وإذا أراد المراجعة عسر عليه استحضار ما تعلمه في ايامه، فهو صاحب علم كثير ومعلومات جمة؛ لكنها من غير أساس كالشجرة الكثيرة الفروع والأغصان إذا كانت مقطوعة من الأرض إذا أتتها ريحُ الشبهات وعواصف المشككات وضباب الفتن انقلعت شجرته من أصلها.

- وبعضهم حفظ المتون ولم يفهم منها شيئاً سوى سردها عند السؤال أصاب الجواب أو أخطأ، وهذا الصنف هو الجامد على المتون الذي ربما اعتقد العصمة في متنه الذي حفظه فصار يَقبَلُ كل ما يوافقه، ويرد كل ما يخالفه، ولا يَعُدُّ ما خرج عن هذه الكتب علماً على الإطلاق، لأنه لم يفهم المراد ولم يطلع على غيرها.

- وبعض طلبة العلم متقنٌ: يُحسِن الجواب ويُفهِم الخطابَ، يتكلم بقدرٍ، عبارته مسبوكة، واضحة المعنى، يستطيع السائل حفظها والتمسك بمرادها، وهذا النوع من طلبة

العلم –غالباً– هم الذين جمعوا بين حفظ المتون وفهم معانيها، هؤلاء هم أصحاب العلم الثابت، أشبههم كالجبال الراسخات والأشجار الشامخات التي لا تتأثر بالعوارض والعواصف؛ لأن العلم عندهم قد أصبح راسخاً كالشجرة الطيبة، ذات الأصول المركوزة، والفروع المنثورة، والأغصان الوارفة، والثمار اليانعة، تأخذ طيباً فتعطي طيباً.

والمتون العلمية لطالب العلم كهذه البذرة لهذه الأشجار الطيبة الراسخة، عليها تُبتنى الشجرة العظيمة، وبها يزداد كل يوم فروعاً وأغصاناً تستمد نورها من أصل هذه البذرة؛ فالورقة لا تصلح بغير غصن، والغصن لا يصلح بغير فرع، والفرع لا يصلح بغير جذع، والجذع لا يصلح بغير أصل الشجرة.

ولهذا فاني أدعو إلى حفظ المتون وفهمها وإتقانها والتدرج في منهج الطلب لنصنع العلماء المؤصِّلين وطلبة العلم المتحركين، والدعاة المربين.

ولا يفوتني هنا أن أبين أمراً في غاية الاهمية وهو أن العلوم الشرعية نوعان:

اصلية: (التفسير والحديث والعقيدة والفقه..).

ومساعدة: (أصول الفقه والمصطلح وعلوم العربية النحو والصرف والبلاغة...) فلا ينبغي الانكباب على الكتب المساعدة والانقطاع لها وترك الكتب الأصلية فمثل هذا كمثل الحطَّاب الذي يطور الفأس وآلة التحطيب كل يوم وهو يموت جوعاً لعدم استخدامها فلا ينبغي لطالب العلم الاعتكاف والانقطاع لعلوم الآلة عن علوم الغاية حتى لا يقف في وسط الطريق وقد أدرك أنه لا علماً حصَّل ولا فناً أصَّل، وأن يعلم أن للعلم ثلاث مراتب اقتصار واقتصاد واستقصاء فهن ثلاثة مستويات المبتدئ والمتوسط والمنتهي وانه يبدأ بالرواية وهي مجرد نقل المروي وحمله ثم الدراية وهي فهم المروي وتعقل معناه ثم الرعاية وهي العمل

بموجب ما علمه (نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)[1].

هذا، وقد أعانني الله عز وجل على جمع بعض أقوال العلماء قديماً وحديثاً؛ لتكون صدقةً جاريةً لكل من اقتبست منه، ولتعالج ما شهده واقعنا المعاصر من عُزُوف كثيرٍ من طلبة العلم عن العلم تعلّماً وتعليماً؛ إذ ظن بعضهم أنهم قد بلغوا من العلم ما لا يُحتاج معه إلى الطلب ومزيد قراءةٍ واطلاع، فقنعوا بما أحرزوه من ألقابٍ، وشهاداتٍ، ومناصبَ، ووظائفَ

وفي الختام أسال الله عزوجل أن يرزقنا العلم والعمل والتصديق والتطبيق وأن يستعملنا وإياكم لخدمة دينه ونشر

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم: (٢٦٥٦)، ٥/٣٣، وحسنه.

علوم نبيه ﷺ وأن يجعلنا من الغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس ... اللهم امين.

مفهوم الحفظ والمتن لغة واصطلاحاً

تعريـف الحفـظ في اللغـة: قـال الجـوهري في الصـحاح :

حفظت الشيء حفظاً أي حرسته ، وحفظته أيضاً بمعنى استظهرته[1].

قال في لسان العرب : الحفظ نقيض النسيان وهو التعاهد وقلة الغفلة ... والتحفظ التيقظ ، وتحفظت الكتاب أي استظهرته شيئاً بعد شيء[1] .

قال في المصباح المنير : حفظت المال وغيره حفظاً إذا منعته من الضياع والتلف ... وحفظ القرآن إذا وعاه على ظهر قلبه .[1]

---

(١) الصحاح ٣/ ١١٧٢ .

(١) لسان العرب ٧/ ٤٤١ .

(١) المصباح المنير ٥٥.

وقـال الجرجـاني في التعريفـات : الحفـظ : ضـبط الصـور المُدْرَكَة[1]

وفي المعجـم الوسـيط : الحافظـة قـوة تحفـظ ماتدركـه القـوة الوهمية من المعاني وتذكرها ، وتسمى الذاكرة أيضاً[1] .

تعريفه في الاصطلاح :

الحفظ في الاصطلاح ملكة يقتدر بها على تأدية المحفوظ[1] .

المتن لغةً: يطلق لفظ المتن على عدة معان منها: متْنُ الكتاب: لفظ الأصل الذي يُشرَحُ وتضاف إِليه الحواشي، ومنها الحلف: يقال متن لي بالله أي حلف، متن الارض: ما ارتفع وصلُب، ومنها المَتْنُ: ما بين كلِّ عمودين، ومنها متْن اللُّغة: أصولها ومفرداتها وألفاظها،

---

(١) التعريفات ١٢٠ .

(١) المعجم الوسيط ١/ ١٨٥ .

(١) حاشية البقري على شرح الرحبية ١٤ .

ومنها: متْن الحديث: غاية ما ينتهي إليه الإسناد من الكلام، ومنها سار متَن النَّهار: سار النهارَ كلّه وغيرها[١].

وأقربها الى مرادنا هو اللفظ وان كانت اغلب المعاني قريبة؛ إذ كلها تبين القوة والرصانة، قال ابن فارس ((الميم والتاء والنون ، أصل صحيح واحد يدل على صلابة في الشيء مع امتداد وطول))[٢]، وهذا ما يدل عليه المتن؛ إذ يعطي لصاحبه قوة وتمكنناً من استحضار المعلومات وقت الحاجة أو السؤال.

---

(١)ينظر: الصحاح ٦/ ٢٢٠٠ ، لسان العرب ٣٩٨/١٣، المصباح المنير ص (٢١٥) ، تاج العروس ٩/ ٣٤٠.

(١) معجم مقاييس اللغة ٥/ ٢٩٤.

أما المتن في الاصطلاح:

عُرّف بأنه: ((خلاف الشرح والحواشي))[1].

وعرفه الزرقا: ((وقد سموا به في الاصطلاح هذه المختصرات العلمية ، لأنها تتضمن المسائل الأساسية للركوب والحمل))[2].

وأقول فيه المتن: هو كلمات مختصرة في رسالة صغيرة، تجمع بين سهولة النطق وجمال العبارة، وبين إيجاز الألفاظ وكثرة المعاني، تصاغ نثراً أو نظماً، تخلو في الغالب من الاستطراد أو التفصيل، كالشواهد والأمثلة إلا في حدود الضرورة[3].

وغالبا ما يطلق العلماء هذه التسمية على كتاب مختصر متداول بين أهل العلم وطلابه ، في ذلك العلم ؛ فمثلا: متن

---

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ٨/ ٤٣٤

(١) المدخل الفقهي العام ١/ ١٨٧ .

(٣) ينظر: الدليل الى المتون العلمية ٤٠ .

الغاية والتقريب في الفقه الشافعي، متن الاجرومية في النحو، متن الطحاوية في العقائد.

وعادة ما يراد بهذا الإطلاق لكلمة " متن " تمييز الكتاب عن شرحه ؛ فمثلا يقال : متن الغاية ، تمييزا له عن شرحه، الذي هو كتاب آخر شرح فيه ابن قاسم الغزي المتن أو غيره من الشروح.

والمتون-عادة- ما تكون مختصرة، تحوي معاني كثيرة، وقواعد مهمة في العلم الذي ألفت فيه، في عبارات قليلة من أجل أن يسهل حفظها، وضبط مسائل العلم بواسطتها .

والمتون موجودة من قديم الزمان، ولكنها لم تعرف بهذا الاسم، بل باسم **المختصرات** : مثل مختصر الخرقي عمر بن الحسين الخرقي المتوفي سنة (٣٣٤هـ)، في فقه الحنابلة.

أقسام المتون

تنقسم المتون إلى قسمين :

- متون منثورة ، وهي الأكثر .
- متون منظومة في أبيات الشعر يسمى الشعر التعليمي، وتكون غالباً من بحر الرجز[1]، وقد تكون من غيره.

---

(١) الرجز بحر معروف من بحور الشعر ، وتسمى قصائده الأراجيز واحدتها أرجوزة ويسمى قائله راجزاً .

وإنما سمي الرجز رجزاً لأنه تتوالى فيه حركة وسكون ، ثم حركة وسكون ، وهو يشبه في هذا بالرجز في رجل الناقة ورعدتها ، وهو أن تتحرك وتسكن ، ثم تتحرك وتسكن . ويقال لها حينئذٍ رجزاء .

والرجز ديوان العرب في الجاهلية والإسلام ، وكتاب لسانهم ،وخزانة أنسابهم وأحسابهم.

وهذه المنظومات العلمية تنقسم على قسمين:

١. منظومات في علم معين استقلالاً، كألفية ابن مالك في النحو .

٢. منظومات لمتن معين مثل ألفية العراقي نظم مقدمة ابن الصلاح في مصطلح الحديث، ونظم العمريطي لمتن الورقات في أصول الفقه.

فائدة حفظ المتون

إن الغرض من وضع العلماء للمتون والمختصرات لم يكن من الترف العلمي ولا من النوافل في التأليف وإنما من اساسيات التدرج في طلب العلم، ومن ثوابت تعلمه فالغرض -من وضع المتون- حكيم، وهو جمع المسائل الأولية اليسيرة في متون صغيرة، بعبارة سهلة، لتكون بداية الانطلاق في الطلب، وقد قيل عن المتون: حفظتْ من العلم جوهره ولبابه، وقامت لا تزال بدورْها الكريم في مسرح التعليم، من ذلك العصر البعيد إلى عصرنا الجديد، وقيل قديماً: (من حفظ المتون: حاز الفنون)، فالذي يحفظ المتن ويفهم ما فيه من معان: يكون حافظاً لذلك الفن، مستحضراً لمسائله وأدلتها في أي وقت، من غير حاجة الى الرجوع الى الكتاب، لذلك قيل: (من حفظ الأصول: ضمن الوصول)، وكذلك قولهم: (من لم يتقن الأصول: حرم الوصول)، ومن فوائد حفظ المتون:

❖ بقاء المعلومات في الذهن، وتظهر فائدة الحفظ ومنفعته، عند: فقد الكتاب ، أو فقد الإضاءة ليلاً، أو فقد البصر .

❖ استحضار المعلومات بكل يسر وسهولة، إن حفظ المتن يساعد ويعين على استحضار المعلومات بكل يسر وسهولة، كما أنه يساعد على الضبط والاتقان للعلوم، مع ما يثمره الحفظ من تقوية الذاكرة، وتنمية الذكاء، وحفظ الوقت، والاعانة على التفوق على الاقران.

❖ إن الحافظ يقدم على غيره ، وتظهر ميزته بين أهل العلم أنفسهم ،ولهذا قال صاحب الرحبية . لما ذكر الفروض المقدرة في كتاب الله. قال :

والثلثان وهما التمام فاحفظ فكل حافظ إمام

قال البقري على قوله "فكل حافظ إمام": ((أي مقدم على غيره ممن لم يكن مثله ، بأن كان أدون حفظاً ، أو لم يحفظ شيئاً)).[1] ، وقال ابن غليون في شرح البيت السابق: ((أي مقتدى به مقدم على غيره ، فمن جدّ وجد ، ومن فرش رقد ،ومن زرع حصد ،ومن كسل نال الهم ، والندم ، والنكد))[1]، وقال الحافظ ابن حجر في مقدمة بلوغ المرام: ((أما بعد فهذا مختصر يشمل على أصول الأدلة الحديثية للأحكام الشرعية ، حررته تحريراً بالغاً ، ليصير من يحفظه من بين أقرانه نابغاً))[1] .

(١) حاشية البقري على شرح الرحبية ١٤.

(١) التحفة في علم المواريث ٩٩.

(١) بلوغ المرام ٢٠.

- إن المتن يجمع لحافظه صورة مجملة عن الفن الذي ألف فيه وأنا أراه اليوم بمثابة تشجيرات العلوم والمخططات التوضيحية لها، فالمتون تجمع حقائق العلم في ورقات يسهل حفظها، ويسهل استحضارها في الدروس، والمناسبات.
- إن الحافظ للمتون يستطيع الإحاطة بها في زمن قليل، وما هي إلا مدخل للعلوم، وليست هي الغاية وإليها النهاية، بل هي الأساس والبداية.
- إن المتن هو الأساس الذي يبني عليه الطالب علمه في كل فن بحسبه، فمن عرف المسائل من دون حفظ المتن كمن بنى من دون أساس.
- إن الذين يحفظون المتون ويتقنونها أقرب إلى الابتكار والابداع وإلى الاجتهاد من غيرهم، والناظر في تراجم العلماء، وكيفية طلب العلم بالنسبة لهم، يدرك تماماً صحة هذه الطريقة.

ومن أروع ما قرأته ما كتبه الأخ أبو مالك العوضي في مقاله: (لماذا ينصحُ أهلُ العلم بحفظ المتون؟) على صفحته في موقع الألوكة قال: والمتون لطالب العلم كهذه البذرة لهذه الأشجار، عليها تُبتنى الشجرة العظيمة، وبها يزداد كل يوم فروعا وأغصانا تستمد نورها من أصل هذه البذرة؛ فالورقة لا تصلح بغير غصن، والغصن لا يصلح بغير فرع، والفرع لا يصلح بغير جذع، والجذع لا يصلح بغير أصل الشجرة-ثم قال:

- ✓ فالمتون هي التي تجمع العلم في رأس الإنسان فيستطيع أن يستحضر ما يشاء بسهولة!
- ✓ والمتون هي التي تضمن للإنسان أن لم يفته شيء من أصول العلوم!

- ✓ والمتون هي التي تفرق بين الطالب الذي يشتغل بالفروع بغير تأصيل وبين صاحب التأصيل الأصيل!.
- ✓ والمتون هي التي تختصر عليك أعماراً بَذَلَهَا من قبلك –علماؤنا– حتى أتوك بالزبدة والخلاصة التي تحتاج أنت إلى أضعاف أضعاف عمرك حتى تحصلها وحدك!.
- ✓ والمتون هي التي تبقى معك بعد سنوات طوال من القراءة في كتب لا تلبث أن تنساها!.
- ✓ والمتون هي التي تجعلك واثقاً من كلامك في مجلس المدارسة والمناظرة، فيسلم لك المؤالف والمخالف!.
- ✓ والمتون هي التي تجعل لكلامك حلاوة وطلاوة، فيكون له وقع عند العامة والخاصة!.

- ✓ والمتون هي الشهادة التي لها قيمة حقيقية في زمن كثرت فيها شهادات الزور!.
- ✓ والمتون هي الأساس الذي تستطيع أن تسقيه كل ما تحصله من ماء العلم الطيب فيرسخ في ذهنك، بدلا من وضع هذا الماء في قيعان لا أصل لها فلا يكاد يبقى منه شيء![1].

---

(١) ينظر: مقال لماذا ينصحُ أهلُ العلم بحفظ المتون؟ لأبي مالك العوضي في مقاله: (على صفحته في موقع الألوكة.

أهمية حفظ المتون عند السلف

الحفظ نعمة من الله ينعم بها على من شاء من عباده ، فيوفقه لحفظ النصوص و استحضارها متى شاء .. والحفظ عند السلف نوعان:

- **حفظ الصدور** .
- **حفظ السطور** والأول أفضل، والمتقنون من السلف من كان يجمع بينهما فمثلا الامام أحمد بن حنبل كان يحفظ ألف ألف حديث الا أنه لم يكن يحدِّث إلا من كتاب و لا يناظر إلا من كتاب خوفًا من الوهم.

ولا يكفي في العلم الفهم فقط دون الحفظ - كما يزعم بعضهم -، بل لابد من الحفظ المتقن كما في العلوم الأخرى كالرياضيات والانجليزي لابد لها من الحفظ مع الفهم، وفي هذا قصة لطيفة وقعت لشيخ الاسلام أبي حامد الغزالي (٥٠٥هـ) رحمه الله تدل على منزلة الحفظ وأهميته، وذلك عندما سافر الغزالي رحمه الله إِلَى جرجان إِلَى الإِمَام أبي نصر

الْإِسْمَاعِيلِيِّ وعَلَّق عَنهُ التعليقة[1]، ثمَّ رَجَعَ إِلَى طوس.

---

(١) التعليقة: هي تدوين الطالب المهم لما يسمعه من الشيخ، وقد كان عند السلف من العلماء من يرحل ويُلازم الشُّيوخ وفي هذه المُلازمة "الصُحبة" يقوم بتدوين "تعليق" ما يراه مُهماً من العلوم والتي يكون قد تعلَّمها من شيخة وربَّما كانت عنده أكثر من تعليقة إذ يُعلِّق على كل شيخ يدرس عنده تعليقة مُنفردة، وقد ترد التَّعليقة بمعنى التَّحضير الفصلي (دفتر تحضير الدُّروس) إذ يقوم المعلم بتدريس الطُّلاب من مُحتوى التَّعليقة أو أن تكون التَّعليقة رسائل يدونها أحدهم فيقول علقت كذا وكذا، وهكذا فإنَّ التعليقة تَرِد بمعنى مُذكِّرة الطَّالب أو دفتر تحضير المعلم أو ما دوَّنه المؤلف، اليوم وبعد أكثر من تسعمائة سنة يتمتَّع علماء القانون والفقه وغيرهم بالاطِّلاع على تعليقة الغزالي" المنخول من تعليقات الأصول "التي علَّقها عن شيخة إمام الحرمين الجويني ومما جاء في نهاية الكتاب

=

=

والذي من شأنه أن يكشف عن مقصد التَّعْلِيْقَة ومنهج إعدادها عند السَّابقين "هذا تمام القول في الكتاب، وهو تمام المنخول من تعليق الأصول، بعد حذف الفضول، وتحقيق كل مسألة بماهية العقول، مع الإقلاع عن التَّطويل، والتزام ما فيه شفاء الغليل، والاقتصار على ما ذكره إمام الحرمين رحمه الله في تعاليقه، من غير تبديل وتزييد في المعنى وتعليل، سوى تكلُّف في تهذيب كل كتاب بتقسيم فصول، وتبويب أبواب روماً لتسهيل المطالعة عند مسيس الحاجة إلى المراجعة" (ص، ٦١٨). عندما اطَّلع الجويني على تعليقة تلميذه الغزالي قال "دفنتني وأنا حي، هلا صبرت حتى أموت". أي أنَّ تعليقة الغزالي كطالب كانت تُضارع كتاب الجويني في القوة العلمية بل صارت أشهر. ينظر: نبذة عن التَّعْلِيْقَة في التُّرَاث التَّعْلِيْمي الإسلامي، د. لطيفة الكندري د. بدر ملك، كلية التربية الأساسية- الكويت.

قَالَ الإِمَام أسعد الميهني: فَسَمعته يَقُول: قُطِعَتْ علينا الطَّرِيقُ، وَأخذ العَيَّارون (اللصوص) جَمِيع مَا معي ومضوا، فتبعتهم فَالْتَفت إِلَيَّ مقدمهم، وَقَالَ: ارْجع، وَيحك، وَإِلَّا هَلَكتَ، فَقلت لَهُ: أَسأَلك بِالَّذِي ترجو السَّلامَة مِنْهُ أَن تَرُدَّ عليَّ تعليقتي فَقَط؛ فَمَا هِيَ بِشَيْء تنتفعون بِهِ، فَقَالَ لي: وَمَا هِيَ تعليقتك؟.

فَقلت: كتبٌ فِي تِلْكَ المِخلاة هَاجَرتُ لسماعها وكتابتها وَمَعْرِفَة علمهَا.

فَضَحِك، وَقَالَ: كَيفَ تَدعِي أَنَّك عرفتَ علمهَا وَقد أخذناها مِنْك فتجردت من مَعْرفَتهَا وَبقيت بِلاَ علم. ثمَّ أَمرَ بعضَ أَصْحَابه فَسلَّم إِلَيَّ المخلاة.

قَالَ الْغَزالِيُّ: فَقلت: هَذَا مستنطق أنطقه الله ليرشدني بِهِ فِي أَمْرِ، فَلَمَّا وافيت طوس أَقبلت على الِاشْتِغَال ثَلاَث سِنِين

حَتَّى حفظت جَمِيع مَا علقته، وصرت بِحَيْثُ لَو قطع عليَّ الطَّرِيق لم أتجرد من علم[1].

فالأفضل حفظ الصدر لما فيه من أهمية استحضار الأدلة ، ولا يرجع للكتب قال الشافعي رحمه الله:

علمي معي أينما يممت أحمله ... قلبي وعاء له لا قلب صندوق

إن كنت في البيت كان العلم فيه معي ..

.. أو كنت في السوق كان العلم في السوق[2]

فكان السلف رضي الله عنهم يحرصون على حفظ المتون حرصاً شديداً، بحسب الفن الذي يريدون اتقانه؛ ولذا يجب على الخلف إذا أرادوا أن يتخصصوا في علم ويتقنونه أن يبحثوا عن المتون ليحفظوها ويضبطوها؛ لأن حفظ المتن يسهل العلم؛ ولهذا قال الإمام السفاريني (ت ١١٨٨هـ) رحمه الله:

---

(١) ينظر: طبقات الشَّافعيَّة الكبرى: ٦/ ١٩٥.

(٢) أدب الدنيا والدين : ٥٨.

وصَار من عَادَة أهل الْعلم ... أَن يعتنوا فِي سبر ذَا بالنظم

لِأَنَّهُ يسهل للْحِفْظ كَمَا ... يروق للسمع ويشفي من ظما

وَمن هُنَا نظمت لي عقيده ... أرجوزة وجيزة مفيده[1]

فإذا حفظت متناً في علم ضبط لك الأمور وجمع لك العلم، فعقل الإنسان لا يمكنه استحضار جميع مفردات المسائل في وقت واحد مهما بلغ من الذكاء حتى يحفظها، فقد يخدع الانسان نفسه باتقان العلوم بالمطالعة وكثرة القراءة من دون الحفظ، ولهذا لما قيل للشيخ ابن عثيمين (ت ١٤٢١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: إن هناك من يقول إن العلم هو الفهم والبحث، وليس العلم هو الحفظ، قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا الكلام ليس بصحيح، ونحن الآن بلغنا ما بلغنا - وهذه عبارته - وما

---

(١)العقيدة السفارينية = الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية ٤٠.

معنا إلا ما حفظنا: زاد المستقنع بلوغ المرام وأخذ يذكر المتون التي حفظها.

أقوال العلماء في حفظ المتون

بداية فقد حرص النبي ﷺ على حفظ القرآن عندما نزل عليه جبريل فكان يسابقه القراءة فتكفل الله بجمعه في صدره: ﴿ لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَه﴾[1]، وقد وهب الله صحابة نبيه ﷺ حافظة قوية مكنتهم من حفظ القرآن كاملا، و حفظ أحاديث النبي ﷺ، و منهم:

أبو هريرة رضي الله عنه (ت: ٥٧هـ) الذي كان يحفظ (٥٣٧٤) حديثاً ، والسيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها (ت: ٥٧هـ)حفظت (٢٢١٠)، بل كان بعض الصحابة يحفظون

(١) سورة القيامة الآية ١٦، ١٧.

الشعر كابن عباس رضي الله عنه (ت: ٦٨هـ)حفظ قصيدة عمر بن أبي ربيعة (ت: ٩٣هـ) في سمعة واحدة مطلعها:

أمن آل نُعم أنت غاد فمبكر •• غداة غد أم رائح فمهجر[١]

ومن التابعين من آتاه الله حافظة قوية كالامام الزهري رحمه الله (ت: ١٢٤هـ) قال: ((إني لأمر بالبقيع فأشد أذني مخافة أن يدخل شيء من الخنا فوالله مادخل شيء فنسيته))[٢].

وقال الإمام البخاري رحمه الله (ت: ٢٥٦هـ): ((قال الخليل بن أحمد : يقلل الكلام ليحفظ ويكثر ليفهم))[٣].

---

(١) ينظر: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ١/ ٨٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) خلق أفعال العباد: ٢٤٤.

قال ابن خلاّد رحمه الله (ت: ٢٨٢هـ): ((حرف تحفظه بقلبك أنفع لك من ألف حديث في دفاترك))[١].

وقال الامام الشعبي رحمه الله (ت: ١٠٣هـ): ((ما كتبت سوداء في بيضاء قط، وماسمعت من رجل حديثاً قط فأردت أن يعيده عليّ))[٢]

وقال الخليل ابن أحمد رحمه الله (ت: ١٧٠هـ): ((ما سمعتُ شيئاً إلاّ كتبتَهُ ، ولا كتبتُ شيئاً إلاّ حفظته)).

عن أبي زرعة الرازي رحمه الله (ت: ٢٦٤هـ) قال: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث - أي مليون حديث - قيل لأبي زرعة : ومايدريك ؟؟، قال : ذاكرته فأخذت عليه الأبواب، وقال أبو علي القالي رحمه الله (ت: ٣٥٦هـ): كان

---

(١) الجامع لاخلاق الراوي والسامع ٤٠٦ .

(٢) الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ ٨٢ .

شيخنا أبو بكر بن الأنباري النحوي يحفظ ثلاث مائة ألف بيت شاهداً.

وقال عبد الرزاق رحمه الله: كل علم لا يدخل مع صاحبه الحمام فلا تعده علماً.

ولذا ألّف الامام الذهبي رحمه الله كتابه: تذكرة الحفاظ، وذكر منهم **١١٧٦** حافظاً.

فعندما تحفظ المتون وتضبطها، وتقرأ شروحاً كثيرة لها، تجد أنك استوعبت شيئاً كثيراً في زمن قصير، هذه من فوائد المتون؛ لأنها تجعلك تمشي على بصيرة ونور وكأن أمامك سراج يضيء لك الطريق.

الأمور التي تعين على الحفظ

- ✓ إخلاص النية، قال ابن عباس رضي الله عنه: إنما يحفظ الرجل على قدر نيته.
- ✓ تقوى الله تعالى بالابتعاد عن صغائر الذنوب فضلاً عن كبارها، قال محمد بن النضر رحمه الله: سمعت يحيى بن يحيى رحمه الله يقول : سأل رجل مالك بن أنس : يا أبا عبد الله ، هل يصلح لهذا الحفظ شيء؟ قال : إن كان يصلح له شيء فترك المعاصي .

وقال بشر بن الحارث رحمه الله: إذا أردت أن تلقن العلم فلا تعص .

وقال علي بن خشرم رحمه الله: سألت وكيعاً رحمه الله، قلت : يا أبا سفيان تعلم شيئاً للحفظ ؟ قال : أراك وافداً ، ثم قال: ترك المعاصي عون على الحفظ .

وقال بعضهم. وينسب للشافعي رحمه الله:

شَكَوْتُ إلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي
فَأَرْشَدَنِي إلَى تَرْكِ المعَاصِي
وَأَخْبَرَنِي بأَنَّ العِلْمَ نُورٌ
ونورُ الله لا يُهدى لعاصي

فالقلب يحتاج إلى أن يُفرغ، فيكون محلا صالحا للعلم، فإذا كان القلب مليئًا بالأدناس، والمدنسات، والأرجاس، فإن ذلك يحول بينه وبين العلم.

- ✓ اختيار المكان والأوقات المناسبة للحفظ من أوقات الصفاء والبعد عن الضوضاء، وانقطاع الشواغل

وغياب الملهيات كوقت الفجر وبعد العصر، يقول الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((أجود الأوقات في الأسحار -يعني للحفظ- ثم بعدها وقت انتصاف النهار، ثم بعد ذلك ذكر أول النهار، وقال: إن حفظ الليل أصلح من حفظ النهار، وذكر أماكن الحفظ، أن الغرف العلوية أفضل من السفلية، وهكذا في كل مكانٍ بعيد عما يُلهي ويشوش الأذهان))، ونهوا المتحفظ أن يحفظ بحضرة النبات والخضرة[1]، وهذا يُقال أيضًا لمن يريد أن يحفظ القرآن، أو يُقال لمن أيضًا يريد أن يفهم في دراسةٍ او نحو ذلك.

---

(١) الفقيه والمتفقه ٢/ ٢٠٧.

فأنت بحاجةٍ إلى أن تجمع الذهن؛ ولهذا فإن المُجربين يقولون: كلما كان المكان ليس فيه ما يشوش فهذا أفضل، وكلما كان أضيق فهو أدعى إلى الحفظ.

ولهذا بالإمكان أن يقترب الإنسان جدًا من الجدار لتكون المساحة التي تراها العين ضئيلة؛ لأن العين تصب في القلب المشَاهِد التي تراها، والقلب هو محل الحفظ، فيحصل له تشويشٌ وانشغال، فهذه الأشياء التي ترد عليه، أو يضع الجوال بجانبه ويُكلم ويقرأ كل رسالة تصل، فإن ذلك يأخذ شُعبًا من قلبه، فلا يجتمع عليه، فيطول عليه وقت الحفظ؛ ولذلك تجد الإنسان أحيانًا يُريد أن يحفظ شيئًا يسيرًا، فيجلس مدة طويلة بينما يُمكن أن يُحفظ هذا بعشر دقائق، بل لربما يُريد الإنسان أن يقرأ صفحة واحدة ويجلس مدة طويلة من الزمن، وإذا نظر يجد

كأنه لم يقرأ الأسطر الأولى، فيرجع، وثانية، وثالثة، لماذا؟ لأنه في مكان غير مهيأ يجلس في الصالة مع من حوله، مع أهله، ويسمع بأذن الحديث وينظر بعينٍ إلى الكتاب، ولا يحصل له كبير مطلوب.

- ✓ مما يُعين على الحفظ: محاولة الربط بين الأشياء من جهة المعنى، يعني الأبواب الفقهية مثلاً تجد المياه، الطهارة، ثم بعد ذلك تأتي الصلاة، المواقيت، الأذان، الإقامة، كذا، فينبغي الفهم كيف رُتبت بهذه الطريقة؟، وكذلك في حفظ القرآن، مثلاً ذكر في خاتمة هذه الآية شيئًا يتعلق بالتذكر أو بالتعقل، ثم بعد ذلك التفكر، ثم بعد ذلك التذكر.. مثلاً. فتربط بين هذه الأشياء أن إنسان يعقل الأمور، ثم يتفكر، ثم يحصل له الذكرى.
- ✓ أوقات الجوع: أفضل من أوقات الشبع كما ذكر ابن جماعة أيضًا أن أفضل أوقات للحفظ الأسحار،

وللبحث الأبكار، وللكتابة وسط النهار، وللمطالعة والمذاكرة الليل.

❖ مما يُعين على الحفظ: وهو التفطن للمطعومات والمشروبات، هناك أشياء لها أثر إيجابي مثل: العسل والزبيب على الريق يقوي الحفظ، اللبان المر، فعن ابن جريج قال : قال الزهري رحمه الله عليك بالعسل فإنه جيد للحفظ، وقال أيضاً: من سره أن يحفظ الحديث فليأكل الزبيب[1]، وقد ذكر الاطباء التفاح وغيره كذلك إلا أن الواجب هو الاعتدال

(١) الجامع للخطيب ٢/٢٦٢ .

والتوسط في الطعام[1]؛ لأن الشبع يؤثر على الحفظ، فالحفظ أوقات الجوع أفضل وأنجع من الحفظ أوقات الشبع.

- ✓ مما يُعين على الحفظ: أنه مهما استطعت أن يجتمع في الحفظ (اللسان والقلب والعين والأذن) فتتواطأ هذه جميعًا على التحصيل، فتحفظ بهذه الطريقة في أقصر مدة.
- ✓ مما يُعين على الحفظ: العمل بهذا العلم، وكلام أهل العلم في ذلك كثير، وقد جاء عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع، قال: كنا نستعين على حفظ

---

(١) وهناك أشياء لها أثر سلبي مثل: الحوامض، الحوامض أثرها سلبي على الإنسان، تُضعف حافظته مثل التفاح الحامض، اللبن الحامض، وما أشبه ذلك.

الحديث بالعمل به، وجاء هذا عن جماعة من السلف رضي الله عنهم.

- ✓ مما يُعين على الحفظ: اعتماد نُسخة واحدة يحفظ منها ويُراجع؛ ليرتسم ذلك في ذهنه، سواءً في حفظ القرآن أو كان في حفظ المتون نسخة واحدة من أجل أن يكون ذلك كالمطبوع في القلب، كأنك تتصور الأسطر، وأن بداية الصفحة هي الكلمة الفلانية، ويأتي بعدها كذا.. فهذا أدعى إلى الضبط بإذن الله.

- ✓ ومما يعين أيضاً كثرة السماع للمتن الذي يرم الطالب حفظه وخاصة النظم فانه أثبت، وهناك تسجيلات كثيرة بأصوات العلماء مع حسنها وجمال صوتها تحضى بضبط للنصوص وتشكيل للكلمات مثل: نظم الجزرية بصوت الشيخ أيمن رشدي ونظم

البيقونية والاجروميةووو...كي لا يحفظ الطالب المتن مع اللحن والخطأ فيه من غير دقة ولا اتقان.

✓ الجد والمواظبة . قال بعضهم .

بقدر الكد تكتسب المعالي ... ومن طلب العلا سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلاً ... يغوص البحر من طلب اللآلي
تركت النوم ربي في الليالي ... لأجل رضاك يامولى الموالي
فوفقني إلى تحصيل علم ... وبلغني إلى أقصى المعالي[1]

---

(١) انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/٢٥٧ ، وتعليم المتعلم ٩٥، ولفتة الكبد ٣٨، وتذكرة السامع والمتعلم ١٦٧، ومابعدها .

أهمية التكرار

إن التكرار طريق السلف في التحصيل والاتقان، وما ورد عنهم في تكرار المحفوظ والمقروء ليس ضربا من الخيال، وإنما حقيقة ثابتة بغية الاتقان، ومن طرق إحكام المحفوظ عندهم: كثرة الإعادة ،والناس يتفاوتون في ذلك: فمنهم من يثبت معه المحفوظ مع قلة التكرار ، ومنهم من لا يحفظ إلا بعد التكرار الكثير ، فينبغي للإنسان أن يعيد بعد الحفظ ليثبت معه المحفوظ ، ولاسيما في حفظ القرآن الكريم، فعن أبي موسى ﵁ عن النبي ﷺ قال : ((تعاهدوا هذا القرآن ، فو الذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها))[1] ، وعن ابن عمر ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: ((إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعلقة إن عاهد

(١) البخاري مع الفتح ٩/ ٧٩ ، صحيح مسلم ١/ ٥٤٣ .

عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت)) [1]، ومن أمثلة التكرار عند العلماء:

- عن أبي مسعود الرازي رحمه الله: أنَّه كان يُكرِّرُ كلَّ حَديثٍ خمسَمائةِ مَرَّةٍ[1]، وقَالَ له رَجلٌ : إنَّا نَنْسى الحديثَ ؟ فقال : أيُّكمْ يرْجِعُ في حِفظِ حديثٍ وَاحدٍ خمسمائة مرَّةٍ ؟! قَالوا : وَمَنْ يَقوَى عَلَى هَذَا ؟ فَقَال : لِذاكَ لا تحفظون[2].
- قال أبو بَكرٍ الأَبْهَرِيِّ المالكيِّ: ((قَرَأتُ مُخْتَصَرَ ابنِ عبد الحكم خمسمائة مرة (والأَسَدِيةَ) خمساً

---

(١) البخاري مع الفتح ٩/ ٧٩ ، صحيح مسلم ١/ ٥٤٣ .

(١) ينظر: تهذيب التهذيب ١/ ٥٨ .

(٢) ينظر: تهذيب الكمال للمزي ١/ ٤٢٤ .

وسبعين مرة، و(المُوَطَّأَ) كذلك، و(المَبْسُوطَ) ثلاثين مرة ومختصرَ ابنِ البرقي سبعين مرة))[1].

- ➢ وقال عَبَّاسٌ الدُّورِيُّ: سمعتُ يحيى بنَ مَعِينٍ يقولُ: ((لَو لم نَكتُب -وفي لفظٍ: نَسْمَع- الحَديثَ خمسينَ مَرَّةً مَا عَرَفناه))[2].

- ➢ قَالَ المزَنِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((قَرأتُ -الرِّسَالةَ- خمسَمائة مَرَّةٍ، مَا مِنْ مَرَّةٍ إلا واسْتَفدتُ مِنهَا فَائِدَةً جَديدَةً. وقَالَ أيضاً: أَنَا أَنْظُرُ في (الرِّسَالةِ) من خمسينَ سَنَة ،

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض ١/ ٤٢٧ ، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون ١/ ١٣٧.

(٢) تاريخ دمشق ١٤/ ٦٥ ، وسير اعلام النبلاء للذهبي ١١/ ٨٤ ، و٤/ ٣٤٢.

مَا أَعْلَمُ أَنِّي نَظَرتُ فِيهَا مَرَّةً إلا استفدتُ مِنْهَا شَيئاً لم أَكُنْ عَرَفْتُهُ))[1].

- قال أبو إسْحَاق الشِّيرَازيِّ رَحِمَهُ اللهُ: ((كُنتُ أُعيدُ كلَّ قِيَاسٍ أَلفَ مَرَّةٍ، فَإذَا فرغْتُ منه أَخذْتُ قيَاساً آخَرَ وهَكَذَا ، وكُنتُ أُعيدُ كُلَّ درسٍ أَلفَ مَرَّةٍ فإذا كَانَ في المسْأَلةِ بيتٌ يُسْتَشْهدُ به حَفظتُ القَصِيدةَ))[2].

والتكرار وإن كانت فيه سآمة لكنه أبقى للمحفوظ في الذهن[3]،وقد قيل : السبق حرف والتكرار ألف .

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/ ٥٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٨/٤٥٨، طبقات الشافعية الكبرى ٤/١١٥، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٣٨.

(٣) ينظر: التكرار هو طريقة السلف في العلم والحفظ لابن المهلهِل.

❖ وقيل: حفظ حرفين خير من سماع وِقْرَيْن ، وفهم حرفين خير من حفظ سطرين ، والوِقْر : الحمْل الثقيل .

❖ وقال الخليل بن أحمد الشجري ـ رحمه الله تعالى ـ:

اخدم العلم خدمة المستفيد	وأدم درسه بفعل حميد
وإذا ماحفظت شيئاً أعده	ثم أكده غاية التأكيد
ثم علقه كي تعود إليه	وإلى درسه على التأبيد
فإذا ماأمنت منه فواتاً	فانتدب بعده لشيء جديد
مع تكرار ماتقدم منه	واقتناء لشأن هذا المزيد[1]

---

(١) الحث على حفظ العلم ٣٥، وتعليم المتعلم ١٠١ .

أقل الواجب في حفظ المتون

اسم العلم	اسم المتن	اسم العلم	اسم المتن
القران الكريم	حفظه كاملاً	النحو	متن الاجرومية
الحديث	الاربعين النووية مع عمدة الأحكام	الصرف	متن المقصود او تصريف الزنجاني
مصطلح الحديث	منظومة البيقونية، او نخبة الفكر	الفقه الشافعي	متن الغاية والتقريب
علم التجويد	منظومة الجزرية	اصول الفقه	متن الورقات
الاذكار	حصن المسلم	آداب طالب العلم	منظومة الألبيري، او ابن الوردي
العقيدة	متن العقيدة الطحاوية	المواريث	منظومة الرحبية
البلاغة	مائة المعاني لابن الشحنة	المنطق	السلم المنورق
القواعد الفقهية	القواعد للسعدي	السيرة	الأرجوزة الميئية لابن أبي العز

وفي الختام: فإني أدعو طلبة العلم المخلصين السائرين في طريق البناء وتطوير الذات أن يشرعوا في حفظ المتون

وأن ينصحوا إخوانهم بحفظها فهي غراس الاشجار الكبيرة وأساس البناء المتين فليجتهد المخلص في تحصيل الاساس ليكون كفيلاً بالوصول إلى سلم الترقي والنجومية في تخصصه الذي يسعى للاستزادة منه واتقانه، فيا طالب العلم أو محبه، بعد أن تعرفت على معنى المتون وفوائدها ومميزاتها، أرجو أن تكون هذه المعرفة طريق خير وبداية لك في طلب العلم الشرعي من أوثق طرقه وأكثرها منفعة، ألا وهي البداية بالمختصرات (المتون)، وأخذ شرحها عن عالم محقق، فالمتن شرحه لا يكون إلا عن عالم بذلك الفن محقق له.

المحتويات

المقــدمــة ٨
مفهوم الحفظ والمتن لغة واصطلاحاً ١٤
أقسام المتون.. ١٩
فائدة حفظ المتون ٢١
أهمية حفظ المتون عند السلف.................. ٢٨
أقوال العلماء في حفظ المتون...................... ٣٤
الأمور التي تعين على الحفظ ٣٨
أهمية التكرار ٤٧
أقل الواجب في حفظ المتون....................... ٥٢
المحتويات .... A